

التنظيم الإلهي لحقوق النساء وأثره في بث الحياة الإنسانية

(سورة النساء أنموذجاً)

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي^(١)

الملخص

اهتمَّ القرآن الكريم بالمرأة، وكرَّمها، وجعل لها مكانة عظيمة؛ لتكون قادرة على القيام بدورها في بثِّ الحياة الإنسانية، فنظَّم الحقوق التي تحفظها وتصونها، وسنَّ القوانين اللازمة لحمايتها، وكفَّل لها الحقوق المقسطة، ويهدف هذا البحث إلى بيان الأحكام المدهش في صياغة حقوق المرأة في ضوء البصائر القرآنية التي حوتها الآيات، من سورة النساء، دون التعرض للحقوق المالية التي ذكرتها تلك الآيات، مستخدماً المنهج التحليلي الاستنباطي في استكشاف حقوق النساء وتحليلها، وصوغها في شكل أسسٍ وقوانينٍ وحقوقٍ يظهر من خلالها إعجاز البينة القرآنية، فتطرَّق المبحث الأول لذكر مظاهر التكريم الإلهي للنساء وبيان دورهن في بثِّ الحياة الإنسانية، وانتظمت حقوق النساء العامة عند الزواج في المبحث الثاني، وتعرَّض المبحث الثالث لذكر التنظيم الإلهي لحقوق المرأة بعد الزواج حفاظاً على استقرار الأسرة، وتوصَّل البحث إلى عدَّة نتائج أبرزها: أنَّ سورة النساء حوت الكثير من البصائر القرآنية التي تفصَّل حقوق المرأة تفصيلاً فريداً، لا يوجد مثله في الشرائع السابقة، ولا في دساتير الدول والأمم المتعاقبة، حيث جعلها القرآن ركناً من أركان التكوين الفطري للأسرة

(١) أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم، كلية الشريعة، جامعة قطر. <S1435y@gmail.com>

٣) بيان السبق التاريخي المدهش لحقوق النساء في الإسلام لكافة الأعراف والمواثيق الدولية التائهة.

أهداف البحث:

- ١) ذكر مظاهر التكريم الإلهي للنساء ودورهن في بث الحياة الإنسانية.
- ٢) تعداد الحقوق الإلهية العامة للنساء عند الزواج، وبيان الأحكام المدهش في صوغها وتقنينها.
- ٣) ذكر حقوق المرأة بعد الزواج التي تحافظ على استقرار الأسرة، وتحميها من كل الأخطار المحدقة بها.

منهج البحث:

استخدم البحث المنهج التحليلي والاستنباطي في استكشاف حقوق النساء التي ذكرتها الآيات (١-٣٦) من سورة النساء، وتحليلها، وصوغها في شكل قوانين، وأسس، وحصون.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي تطرقت لموضوع حقوق النساء، منها على سبيل المثال:

- ١) المفصل في تفسير سورة النساء "بث الحياة الإنسانية والتنظيم الإلهي الحقوقي لها، وحماية المستضعفين وخاصة النساء والأطفال من الاضطهاد": أ.د/ عبد السلام مقبل المجيدي، دار لوسيل، قطر، ٢٠٢١م، ويتكون من ثلاث مجلدات، والبحث مستل منه مع تصرف واختصار.

(٢) "مكانة المرأة في الإسلام (سورة النساء أنموذجاً)": لعماد سليمان عواد الحيصة، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، مج ٤٧، ع ٣، ٢٠٢٠م، عدد الصفحات (١٣) صفحة، تعرض الباحث فيها بصورة مقتضبة إلى الحقوق المادية والمعنوية.

(٣) "الحقوق الشرعية للمرأة في القرآن الكريم من خلال سورة النساء": عمار محمد علي الخبيبي، د. خالد علي علي، د. محمد فتحي محمد، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر، مج ٥، ع ٤٤، ٢٠١٩م، عدد الصفحات (٢٠) صفحة.

(٤) "حقوق وواجبات المرأة في القرآن الكريم: سورة النساء أنموذجاً": لأحلام محسن حسين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع ٣، ٢٠١٨م، عدد الصفحات (٢٣) صفحة.

(٥) "الحقوق المالية في سورة النساء: دراسة موضوعية": رسالة (ماجستير) للباحثة عير زبيدي، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٧م، تطرقت الباحثة للحقوق المالية في فصلها الثاني من الرسالة في خمسة مباحث.

ويتميز هذا البحث عن هذه الأبحاث وغيرها أنه يستقري الحقوق ويستنبطها من الآيات القرآنية على طريقة بصائر المعرفة القرآنية التي تختلف عن الدراسات الموضوعية في استخراج هذه الحقوق بحسب الترتيب المصحفي للآيات، مع الأخذ بنظر الاعتبار السياق الذكري والتاريخي للآيات، بحيث يظهر مدى الارتباط المحكم المدهش بين الآيات القرآنية، وما يترتب على ذلك من ثراء وجمال في المعاني.

هيكلية البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة:

المقدمة: وتضمنت أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة.
المبحث الأول: التكريم الإلهي للنساء وبيان دورهن في بث الحياة الإنسانية.
المبحث الثاني: التنظيم الإلهي لحقوق النساء العامة عند الزواج.
المبحث الثالث: التنظيم الإلهي لحقوق المرأة بعد الزواج حفاظاً على استقرار الأسرة.

المبحث الأول: التكريم الإلهي للنساء وبيان دورهن في بث الحياة الإنسانية.

من أعظم حقوق بث الحياة الإنسانية: تكريم المرأة، وبناء الحياة البشرية على هذا التكريم، ويُبصِّرنا بذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ١)، وهنا تُبصرُ القصةَ الحقيقيةَ لبدء الخلق الإنساني، حيث بدأت على صورة أسرة من زوج وزوجة.

أولاً: التبصير بالقصة الحقيقية لنشأة البشرية:

إن الآية الأولى من سورة النساء تبصرك ببصيرة ثمينة في تاريخ الحياة الإنسانية حيث تخبرك بالقصة الحقيقية للوجود البشري، فالشيطان يحاول تلقين أتباعه تزوير القصة الحقيقية لبدء نشوء البشرية، فاسمع قول الله مبيناً هذه القصة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١).

ثانياً: التكوين الأسري الفطري السليم الذي يجلب السعادة للبشرية يكون عن طريق اللقاء بين الزوجين عبر مؤسسة الزواج الشرعية؛

فإنَّ الله ﷻ قد كوَّن العائلة المكتملة المكونة من رجلٍ وامرأةٍ منذ بدء البشرية، فأساس السعادة البشرية باجتماع الرجل والمرأة على الطريقة الفطرية؛ لأن الطرق الأخرى تسبب الدمار الإنساني إذ قد خرجت عن الطريق الفطري، الذي يتم بالتكون من الزوجين، ثم ينبثق عنهما الرجال والنساء، والزوج: هو الثاني للنفس أو هو (الفرد الذي له قرين)، فكل واحدٍ من القرينين يقال له: (زوج)، ثم قيل لامرأة الرجل، وللرجل صاحب المرأة: (زوج)^(١)، ومن هذين الزوجين انبثقت البشرية رجالاً كثيراً ونساء.

ثالثاً: ومن مظاهر تكريم المرأة لتقوم بدورها الأمثل في بث الحياة أن جعل النساء شقائق الرجال؛

يضع النبي ﷺ قانوناً عاماً للعلاقة الجسدية والنفسية بين الرجل والمرأة يظهر منها التكريم الأعظم للنساء، فيقول: «إنما النساء شقائق الرجال»^(٢)، قال ابن القيم رحمه الله: "فبين أن النساء والرجال شقيقان ونظيران لا يتفاوتان ولا يتباينان في ذلك، وهذا يدلُّ

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (زوج) (٧/٥٢٥)، تعليق الشيخ أحمد شاكر على تفسير الطبري (٧/٥١٥).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الرجل يجد البِلَّةَ في منامه (١/١٧١)، رقم (٢٣٦)؛ مسند أحمد، مسند عائشة رضي الله عنها (٤٣/٢٦٥) رقم (٢٦٢٣٨)، وغيرهما، قال العجلوني في كشف الخفاء (١/٢١٤): "رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، ورواه البزار عن أنس رضي الله عنه، قال ابن القطان هو من طريق عائشة رضي الله عنها ضعيف، ومن طريق أنس صحيح".

على أن من المعلوم الثابت في فِطْرَهُمْ أَنَّ حَكَمَ الشَّقِيقِينَ والنظيرين حَكْمٌ واحد... فهو دليل على تساوي الشقيقين وتشابه القرينين وإعطاء أحدهما حكم الآخر^(١).

رابعاً: ومن مظاهر تكريم المرأة: الافتخار بالنساء:

بثَّ اللهُ ﷻك من الزوجين رجالاً كثيراً ونساء، وهذا يقود إلى الافتخار بالمرأة، والشعور بعظمتها في الحياة، فليست المرأة - كما تصوّر بعض الديانات المنحرفة أو العقائد الضالة - مخلوقاً يُستنكف منه أو يُتلاعب به، ولقد رأيت الحضارات الجاهلية تنسب المرأة إلى النجاسات والرجس والخبث والخيانة.. انظر إلى تكريم المرأة هنا.. فالرجال والنساء خُلِقوا من نفسٍ واحدة وزوجها.. وقارن ذلك بإجرام القوانين الوضعية في ذلك الزمان وإجرام الشرائع المحرفة، حيث كانت المرأة عندهم كالسلعة التي تباع وتشترى حتى نسب إلى بعض فلاسفة الحضارة الإغريقية قوله عن المرأة: «إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة، حيث يكون ظاهرها جميلاً، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت من فورها»^(٢).. وأنا أشك في نسبة هذا الكلام لسقراط، ولكن مفهوم هذه العبارة يُلخّص النظرة الفلسفية للنساء في ذلك العصر، وتعجب كيف يتفاخر الحداثيون بالنهل من فلسفة تكون هذه العبارة أحد قوانينها، وتنقل (كارن أرمسترونج) في كتابها: "نظرة الإنجيل إلى المرأة: خلق المسيحية للحرب الجنسية في الغرب" أن اللوثريين البروتستانت، في (وتنبرج)، ناقشوا مسألة ما إذا كانت النساء حقيقة من بني الإنسان، وكان (توما

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٥٤).

(٢) عودة الحجاب (٢/ ٤٧).

الأكويني) متحيراً تماماً، مثله مثلما كان (أوغسطين) من قبل، فيما إذا كان هناك داعٍ أن يخلقها (الله)، فكتب يقول فيما يختص بطبيعة الفرد: فإن المرأة مخلوق مَعِيبٍ وجدير بالازدراء^(١).

قارن بين هذه المواقف وبين قوله تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا...﴾ (النساء: ١)، فالبشرية ترجع إلى زوجين أحدهما هذه المرأة التي يرفع اسمها ووصفها في النظرة القرآنية.

فقول ربك ﷻ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ١)، يظهر لنا انبثاق البشرية من نفسٍ واحدةٍ هي نفس آدم ﷺ، فخلق البشرية من نفسٍ واحدة، ولإتمام التكاثر باجتماع زوجين خلق من هذه النفس الواحدة زوجها، والمراد بزواج آدم: حواء ﷺ.

خامساً: ومن مظاهر تكريم المرأة: الامتتان بخلقهن: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ١):

فمنَّ على الرجال بخلق النساء لهم، ومنَّ على النساء بخلقهن من الرجال للدلالة على كمال الاحتياج وشدة الاتصال، وليكون ذلك من أعظم مظاهر تكريم المرأة، وإعطائها حقوقها ومكانتها.

فكلمة ﴿مِنْهَا﴾ تحتمل معنيين:

(١) ينظر: المرأة في ظل الكنيسة، اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب علي، مقال على شبكة الألوكة،

رابط المقال: <https://www.alukah.net/sharia/0/87330/>

المعنى الأول: فقد يكون المعنى ما ذهب إليه الجمهور من أن حواء ﷺ خلقت من ضلع من أضلاع آدم ﷺ، وقد استدلوا بإشارات في النصوص، وأشهر ما استدلوا به ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْنَاهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»^(١)، والضلع: واحدة الضلوع والأضلاع، فالضلع ما يلي الظهر، والأضلاع ما يلي الصدر، وتسمى الجوانح، ولكن الحديث ليس نصاً في أن حواء خلقت من آدم عليه السلام؛ إذ يحتمل أن يكون المراد التمثيل الذي يدل على الطبيعة النفسية مثل قوله -تعالى- مجده: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء: ٣٧)؛ إذ تعني الآية أن الإنسان له طبيعة التعجل، ولم يأت نص ظاهر في هذا الموضوع يقطع بأن حواء خلقت من آدم عليه السلام إنما ورد ذلك في سفر التكوين ٢:

٢٠ فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءِ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَجَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ، ٢١ فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الْإِلَهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَتَأَمَّ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا، ٢٢ وَبَنَى الرَّبُّ الْإِلَهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ، ٢٣ فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرَأَةٍ أُخِذَتْ، ٢٤ لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً﴾ (٤/١٣٣) رقم (٣٣٣١).

وأنت تعلم أن حديث بني إسرائيل هنا لا يصدق ولا يكذب لعدم ثبوت ما يدل على أحد الأمرين بشأنه.

المعنى الثاني: وقد يكون معنى الآية: خَلَقَ زَوْجَهَا مِنْ جِنْسِهَا، فَكَانَ مِثْلَهَا، وهذا مثل قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾ (الروم: ٢١)^(١). وفي كلا الحالين فإن هذا يدل على مقدار كرامة المرأة في النظرة الإسلامية، وأنها شقيقة الرجل.

سادساً: ومن مظاهر كرامة المرأة في الإسلام أن جعل لها دوراً مهماً في بث الحياة الإنسانية ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾

فالآية تبين البداية الحقيقية لبث الحياة الإنسانية؛ إذ بدأ مفهوم الأسرة المكونة من الزوج والزوجة مع بداية البشرية، فتدمغ الآية الباطل الذي عبرت عنه القصص المزيفة للتاريخ.

ففي بيان كيفية بث الجنس الإنساني من النفس وزوجها ردُّ واضح على تزييف الوعي الذي تعمل عليه الأدوات الثقافية العالمية التي تزعم أن البشر بدأوا في وضع منحل مجرم شيوعي تكون المرأة حرة في التنقل بين من شاءت من الرجال، ثم جاءت فكرة العائلة من بعد، ثم يزعمون بعد أن العائلة لما جاءت صارت المرأة أسيرة مستعبدة، وأنها فقدت حريتها بذلك.. هذا الهراء الشيطاني المضاد للبيان الرباني نقله مجموعة من الكتاب الذين ينتسبون للعالم الإسلامي كأنهم يقومون بتنفيذ البرنامج الإداري

(١) ورَجَّحَ الألباني الرأي الثاني. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة

لخطوات الشيطان، فيختلقون قصصاً لبدء الخلق من عند أنفسهم كخرافات الداروينية، أو كما قال قاسم أمين في كتابه "تحرير المرأة": «أورد شيخ المؤرخين (هيروديت) أن علاقات الرجل بالمرأة كانت متروكة إلى الصدفة، ولا تفرق عما يشاهد بين الأنعام، وكان الشأن إذا ولدت المرأة ولدًا أن يجتمع القوم متى وصل الولد إلى سن البلوغ، وينسبوه إلى أشبه الناس به...»^(١).

فلا تلتفت لمؤرخٍ تائهٍ مثل «هيروديت» يتكلم في أمرٍ غيبيٍّ بتخرصٍ يتبع فيه الظن وما تهوى الأنفس، لكن املاً نفسك متعجباً من هذا الذي ينتمي للإسلام «قاسم أمين» ونقل هذا الكلام عن «هيروديت»، ترى هل عرف هذا الإنسان القرآن الكريم؟ هل قرأ آياته لتصور له كيف بدأ الخلق؟

كما أن إثبات الطريق الزوجي لبداية الخلق سبيلاً واحداً لتنظيم الله لانبثاق الإنسانية ينبئك عن الجهل الطبقي والجرأة في الكلام بلا علم الذي اتسم به فرويد (Freud) حين قال: «فالواقع، الإنسان البدائي كان أحسن حالا إذ لم يعرف قيوداً فرضت على غرائزه»^(٢). والرؤية القرآنية تفصل لنا أساس السعادة البشرية من الناحية الاجتماعية فلا تكون إلا باجتماع الرجل والمرأة على الطريقة الشرعية، حيث تتكون الأسرة ثم ينبثق عنها الرجال والنساء.

(١) المرأة الجديدة (ص: ١٤).

(٢) العلم في منظوره الجديد (ص: ٧٧).

المبحث الثاني: التنظيم الإلهي لحقوق النساء العامة عند الزواج

ترشدك البصائر القرآنية إلى تكوين الأسرة من الزوجين ابتداء من الآية الخامسة عشرة من سورة النساء، حيث يفصل ربنا سبحانه فيها أهم قوانين الزواج التي تحمي البناء الأسري، وتحافظ على بث الحياة الإنسانية، وهنا تجد التشريعات المذهلة، وسنقتصر على ذكر قوانين قسمين منها:

القسم الأول: الحقوق التي تحمي نظام الزواج من العبث، وتعيد تأهيل المتجاوزين لحدود النظام الأسري، والسلامة المجتمعية (النساء: ١٥-١٨)^(١).

القانون الأول: يجب المحافظة المركزية على بث الحياة الإنسانية من خلال تكوين الأسرة المركزية التي لا يمكن أن تنشأ بصورة طبيعية موافقة لنظام الكون إلا بوجود ذكرٍ وأنثى، ولا يمكن أن تستقر صحياً ونفسياً إلا بزواج شرعي حقيقي بينهما. ويصرنا بذلك قوله جل ذكره: ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ (النساء: ١٥)، وقوله: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ (النساء: ١٦) فأخبر أن إتيان الرجال أو النساء للفاحشة يُسيء للإنسانية؛ إذ سمّاها فاحشة أي: أمراً بشعاً يستشنع ذكره.

(١) ينظر: بث الحياة الإنسانية (التفسير المفصل لسورة النساء) (١/٣٩٦-٤٣٥).

القانون الثاني: يجب التوازن في التعامل بين حق المجتمع في حماية نفسه من انتشار الفاحشة للمحافظة على الجنس الإنساني من خلال مؤسسة الزواج وبين حق العناصر المتبعة للشهوات المحرمة في إعادة التأهيل؛ لأنهم تجاوزوا حدود السلامة البشرية، **وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ (النساء: ١٥).**

مَنْ يتجاوز حدود الزواج وأنظمة بناء الأسرة قد يسبب تدميراً للإنسانية من خلال فعل الفواحش وإتيانها؛ ولذا لا بد من إعانته على ترك هذا العبث الذي يدمر الأسرة، فذلك حقُّ له أكثر مما هو عقوبة؛ من أجل ألا يقع في هاوية في الدنيا والآخرة، ولا يسبب المآسي للجنس الإنساني.

القانون الثالث: الشرط الأول لتطبيق استراتيجية إعادة تأهيل اللاتي يأتين الفاحشة إثبات الاختيار في فعل النساء للفاحشة، فلا عقاب على المكره، **وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ جَل مجده: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ (النساء: ١٥)،** فقولهُ: **﴿يَأْتِيَنَّ﴾** يدل على أنهم جئنا لها باختيارهن ولم يجبرن عليها.

فلا يتم إعادة التأهيل ولا المعاقبة إلا بناء على أنهن آتيتن الفاحشة ولم يُكرهن عليها، فالذي يتم إعادة تأهيله عن طريق الحزم والعقوبة الرادعة هو الذي فعل الفاحشة مختاراً من عند نفسه، راعباً من تلقاء ذاته، وهذا سر التعبير عن فعل الفاحشة بالإتيان، حيث قال تعالى: **﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾**، فهذا الإتيان يدل على الاختيار لا على الاضطرار.

القانون الرابع: الشرط الثاني لىتم تطبيق إعادة التأهيل: لا بد أن تكون الفاعلة من نساء المؤمنين؛ لأنهن يعلمن حدود دينهن، ويصبرن بذلك قوله: ﴿مِن نِّسَائِكُمْ﴾، ولتعوذهن على الثقافة الحقيقية لمفهوم العرّض بخلاف كثير من الثقافات الأخرى.

القانون الخامس: الشرط الثالث لىتم تطبيق إعادة التأهيل: إقامة البيئة القاطعة على وقوع الفاحشة، ويصبرن بذلك قوله: ﴿فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ أي: لم يتواطؤوا على الكذب، وهذا شرط شديد يدل على محبة الشريعة للستر على من يأتي الفاحشة.

وهذا القانون لحماية المتهم نفسه مع مراعاة حماية المجتمع.

القانون السادس: يجب السّتر على اللواتي أتين الفاحشة، وعدم إيصال أمرهن إلى القضاء، والبحث عن طرق مناسبة لإعادة تأهيلهن تهدف لمنعهن من فعل الفحشاء مرة أخرى، وكل ذلك يتم بإمساكنهن في البيوت، والبيوت هي الأماكن التي يتم فيها العزل والتأهيل، ويصبرن بذلك قوله: ﴿فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّأَهُنَّ الْمَوْتُ﴾.

فهذه الآية تتكلم عن حالة فريدة وهي الحالة التي تثبت البيئة على امرأة أنها أتت الفاحشة، فعند ذلك ينبغي إعادة تأهيلها بعزلها عن المجتمع من خلال الإمساك في البيوت. لماذا؟ من أجل حماية المجتمع من اللوثة التي أصيبت بها، ومن أجل حمايتها هي حتى لا تجد فرصة لتكرّر الأمر ذاته.

والذي يحقّق في القضية باعتباره ولي أمر أو غير ذلك له خياران:

الخيار الأول: أن يرفع الأمر إلى القاضي بعد أن يتأكد من حالة الاختيار، ويتأكد من وجود البيئة الصحيحة القاطعة.

والخيار الثاني: ألا يرفع الأمر للقاضي ويغلب جانب السّتر إذا كان هو ولي هذه المرأة، فيقوم بإمساكها في البيت، فما زالت حالة السّتر قائمة، ولكنه ليس سترًا مجردًا بل سترٌ مع إعادة تأهيل حتى تجد لها سبيلًا لاحقًا لعودة الانخراط في المجتمع مع الاستقامة على الفضيلة، ولماذا الإمساك في البيوت؟

لأن شهوة الفاحشة إن جربها المرء مرة اشتاقت النفس لفعالها مرات، وفي كل مرة يحسب صاحبها أنه ستركها وأنها ستكون الأخيرة، ولكنها لا تزداد إلا اضطرابًا فيصبح المرء مدمنًا عليها، فذاك حال هذه الشهوة.

فالمقصود من العقوبة ليس الانتقام أو الثأر، إنما المقصود إعادة التأهيل لهذه المرأة أو لذاك الرجل، ليعود من جديد فيكون فردًا صالحًا في المجتمع، بعد أن تلوث بهذه الفعلة الشنيعة التي قد يدمن عليها إن لم يؤدب عليها.

القانون السابع: السماح لهن بالعودة إلى الحياة المعتادة خارج البيوت، بعد التأكد من صلاح نفوسهن: **وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَقَّعُنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾** (النساء: ١٥):

فالسبيل يكون بالتوبة النصوح أو بالنكاح مع التوبة، أو بالعقوبة الحديّة التي يجب درؤها إن أمكن ذلك، فالسبيل الذي يجعله الله لهن يظهر في صور:

الصورة الأولى: أن يكون السبيل بالتوبة النصوح الظاهرة منهن، ولو لم تُقم العقوبة؛ ولذا ذكر الله ﷻ التوبة بعد هذا، وقد قال طارق بن شهاب: أراد رجل أن يزوج ابنته،

فقلت: إني أخشى أن أفضحك، إني قد بغيْتُ، فأتى عمر رضي الله عنه، فأخبره، فقال: أليس قد تابت؟ قال: نعم، قال: فزوِّجها" (١).

الصورة الثاني: أن يكون السبيل بالنكاح، وذكر الزمخشري رحمته الله هذا المعنى فجعل السبيل النكاح الذي يستغنين به عن السفاح (٢)، وذلك حال علمنا بتوبتها، فلا ينبغي للإنسان أن يزوجه وهو يعلم أنها تعود إلى تلك الفعل؛ لأن الله جلَّ مجده قال: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ (النور: ٣)، وقد روى الشعبي قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين: إنني وأدت ابنة لي في الجاهلية فأدركتها قبل أن تموت فاستخرجتها، ثم إنَّها أدركت الإسلام معنًا فحسن إسلامها، وإنَّها أصابت حدًا من حدود الإسلام، فلم نفعجها إلا وقد أخذت السكين تدبح نفسها، فاستنفذتها، وقد خرجت نفسها فداويتها حتى برأ كلمها، فأقبلت إقبالًا حسنًا، وإنَّها خطبت إليّ فأذكر ما كان منها، فقال عمر: «هاه، لئن فعلت لأعاقبتك عُقوبة»... قال إسماعيل: يتحدَّث بها أهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة" (٣).

الصورة الثالثة: أن يكون السبيل بإقامة الحد العلني الشرعي إن ظهر عدم قدرة المرأة على إعادة التأهيل، وأقيمت البينة الظاهرة عليها كما قال عليه السلام: «خذوا عني، خذوا عني،

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب النكاح، باب من قال: لا يتزوج محدود إلا محدودة ومن رخص في ذلك.

(٢) (٢٧٣/٤) رقم (١٧٢١٠).

(٣) الكشاف (٤٨٧/١).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٦ / ٢٤٦) برقم (١٠٦٩٠)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٤/

٢٧٢): "هَذَا إِسْنَادٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّهُ مُتَقَطِعٌ، فَإِنَّ رِوَايَةَ الشَّعْبِيِّ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه مُرْسَلَةٌ".

ثلاث مرات، قد جعل الله لهن سبيلاً...»، ثم ذكر صلى الله عليه وآله العقوبة باختلاف حال البكر والثيب^(١).

وبهذا التقرير يتضح لك أن الحديث لم ينسخ حكم الآية البتة بل بيّنها وأوضح بعض صورها كما ترى.. وإنك والله لتطرب للشعور بجمال هذه المعالجة القرآنية الفريدة التي تؤهل الشاردين عن الفطرة لتعيدهم إلى مراتب الأمنين المطمئنين الذين يسعون لإقامة الحياة الإنسانية كما أرادها الله عز وجل.

القانون الثامن: يجب ردع الفاعلين للفاحشة من الذكور، وإعادة تأهيلهم مع الستر عليهم:

ويُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَأْذُوهُمَا﴾، والإيذاء يعني سلوك ما يؤدي إلى الردع وإعادة التأهيل فيدخل فيه الحبس والتغريم والإمساك في إصلاحية. أتى باللفظ المُذَكَّرُ المثنى ليشمل الصور المختلفة لارتكاب الفاحشة ويجمعها: الصورة الأولى: إتيان الرجال الفاحشة مع الجنس المماثل أي والذكران اللذان يأتیان الفاحشة فأذوهما.

الصورة الثانية: إتيان الرجال الفاحشة مع النساء، ويعم ذلك الصنف المحصن، والصنف غير المحصن.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود والديات، باب حَدِّ الزَّوْنِي (١١٥ / ٥) رقم (١٦٩٠)؛ ومسند أحمد،

مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٣٧٦ / ٣٧) رقم (٢٢٧٠٣) واللفظ له.

القانون التاسع: ينبغي حثهما على التوبة، وقبول توبتهما، إذا أظهرها الصلاح، ونطبيع حياتهما في المجتمع: وَيُبَصِّرُنَا بِهَذَا قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ تَابَا وَأُصْلِحَا فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٦).

وبذا يتم إعادة التأهيل للخارجين عن قانون الأسرة؛ من أجل أن يستأنفوا حياتهم الطبيعية، ويظهر لي أن هاتين الآيتين وما بعدهما كلام لمن يجدي معه عدم إقامة العقوبة الرادعة التي سميت حدودًا، فالأصل التعامل معه وفق هذه الآليات، فهذه الحدود المذكورة في الآيتين تحمي المجتمع، وتساعد المذنبين على التخلص من عبودية الشهوات المحرمة.

وقد ورد عن جمعٍ من المفسرين كابن عباس رضي الله عنه وقتادة ومجاهد وغيرهم^(١) أن هذه الآية وما قبلها منسوخة بتقرير العقوبة القصوى المذكورة في سورة النور وفي الأحاديث الصحيحة، ولكن هذا التقرير غير واضح لي، والأصل إعمال آيات القرآن جميعاً ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وليس إهمالها بادعاء النسخ، فالصحيح أن النسخ الوارد على ألسنة السلف هنا تخصيصٌ بلغة الصحابة وليس نسخاً كلياً؛ فيمكن إعمال ما في سورة النساء في الحالات الفردية المستترة، ويتم إعمال ما في سورة النور في الحالات التي تصل القضاء أو يشتهر أصحابها بإشاعة الفاحشة في المجتمع فعلياً وإعلامياً.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٧٤، ٧٥).

القسم الثاني: حقوق الزوجة، وتحذير الزوج من التعسف معها (النساء: ١٩-٢١) ^(١).

ذكر الله فيما سبق القوانين التي تضبط حقوق المجتمع وتضبط حقوق أسارى الشهوات المحرمة المتجاوزين لحدود النظام الأسري والسلامة المجتمعية، وهنا يبين كيف يتم بناء الكيان الأسري بالاهتمام بحقوق الزوجات في المعاشرة، وهي:

الحق الأول: حق الكرامة البشرية الكاملة للمرأة، فهي ذات أهلية كاملة في التصرف، فلا تُمَلِّك، ولا تُورَث، ولا يتم إكراهها على أي نوع من أنواع التصرفات، ويُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ على الفتح لكلمة ﴿كَرِهًا﴾:

كلمة ﴿كَرِهًا﴾ فيها قراءتان: فحمزة والكسائي وخَلَفٌ قرؤوا بضم الكاف هنا، والباقون قرأوا بفتحها، فذهب بعضهم إلى أنهما مصدران للإجبار، والمشقة ^(٢)، ولعلي أميل إلى ترجيح الفرق تبعاً لبعض المحققين:

فالفتح: الإجبار والإكراه؛ أي ما أُكْرِه عليه الإنسان، والضم: المشقة، ويدل على التفريق اتفاق القراء على قراءة هذه الكلمة بالضم في مواضع وبالفتح في أخرى.

فيكون معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن تجعلوا النساء متاعاً ترثونه كما ترثون الأموال الأخرى على كرهٍ منهن (على قراءة الفتح)، وعلى مشقةٍ وعنيتٍ تصيب

(١) ينظر: بث الحياة الإنسانية (التفسير المفصل لسورة النساء) (١/٤٣٦-٤٦٤).

(٢) شرح طيبة النشر للنويري (٢/٢٦٦).

نفوسهن (على قراءة الضم)، فتجبرونهن على أن يتم التصرف بهن بدلاً من أن يتصرفن بمحض إرادتهن.

والكلام على إرث النساء كرها قائم على فكرة جاهلية أراد الله -جل مجده- إزالتها، وخلاصتها ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقُّ بِمَرَاتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزْوِجَهَا، وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يَزُوجُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَزَكَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ^(١).

يا لرزية الجاهلية الأولى.. ويا لمصيبة الجاهلية الحديثة.. تتلاعب الجاهليتان بالنساء تلاعباً.. فكأن الزوج ملك بضعها حياً وميتاً فورث ما ملك لأقربائه، وكأنها ليست من البشر بل من البضائع والبهائم.. بماذا يذكرك هذا؟ نعم، إنه يذكرك كيف تتصرف الجاهلية الحديثة المعاصرة التي باسم حقوق المرأة جعلت المرأة سلعة للبيع والشراء في سوق نخاسة الإعلانات ومحلات دور الأزياء وصالونات الإغراء.

الحق الثاني: حقهن في المحبة لحياتهن، ومن ذلك محبة الزوج لهن. ويصبرنا بذلك قراءة الضم لقوله تعالى ذكره: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ (النساء: ١٩).

أي: لا تتزوجوا بهن حال كون ذلك فيه مشقة عليهن لرفضهن لكم، أو لا تتزوجوا بهن رغبة في الإرث، مع أنكم كارهون لهن، فقد ذهب البقاعي إلى أن معنى ﴿كَرِهًا﴾ أي: كارهين لهن، لا حامل لكم على نكاحهن إلا رجاء الإرث^(٢)؛ فقد كانوا ينكحون المرأة

(١) تفسير الطبري (٨ / ١٠٤)، وهو في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾، ولا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾ (٦ / ٤٤)، رقم (٤٥٧٩).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥ / ٢٢٣).

لمالها الذي حازته وورثته، وليس لهم فيهن رغبة إلا تربص الموت لأخذ مالهن ميراثاً، وهذا المعنى الثاني على قراءة الضم وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، أي: لتحصلوا على الإرث منهم حال كون هذا الإرث يصيبهن بالمشقة بدلاً من الاطمئنان والسعادة.

الحق الثالث: عدم إكراه المرأة وإعانتها على ما لا يليق بكرامتها الإنسانية، و**يُصِّرُنَا** بذلك ظهور أن قيد الكره السابق إنما هو للتوضيح لا للتأسيس.

فهذا القيد ﴿كَرْهًا﴾ صفة توضيحية، كاشفة للواقع، مبنية للحالة النفسية التي تكون عليها كل امرأة سوية، وليس صفةً تأسيسية؛ إذ لا تعني أنهم لو رغبنا في أن يجبرنا على التلاعب بهن أو التصرف في أحوالهن يجوز ذلك، ولأنها صفةً توضيحية فقد أكسبتنا تعميم المفهوم في كل التصرفات المتعلقة بحياتهن.

أي حتى لو رغبنا في أن يكن مسترقات أو أي أمر لا يليق بكرامتهن البشرية فلا يجوز لكم إجابتهن.

فالكراهة والمشقة في كلا الحقين وعلى كلا القراءتين صفة إيضاحية، وذلك يعني أنهم حتى لو لم يكرهنا أن يكن متاعاً يتلاعب به الآخرون، وحتى لو لم يشق ذلك عليهن فلا يحل لهن ولا لكم هذا التصرف المقيت معهن؛ لأنه ينافي الكرامة الإنسانية.

الحق الرابع: حق التملك لمالها، ومنه: المهر، دون استغلال أو ضغوط. و**يُصِّرُنَا** بهذا الحق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.

فالعضل هو المنع، ومنه الداء العضال، ومعناه هنا: لا تحبسوهن ولا تمنعهن من ممارسة حياتهن حتى تضطروهن إلى أن يفتدين أنفسهن بمالٍ يملكنه، والمقصود: لا

يحل الاحتياال على المرأة والتضييق عليها بعضها لأخذ شيء مما أُعطي لها فضلاً عن شيء تملكه، والخطاب للأزواج، وكذلك للورثة الذين يستغلون ضعف النساء فيمنعنهن من الزواج حتى تفندي منهم بترك إرثها، وللأولياء الذين يفعلون الأمر ذاته، وللمجتمع ليقوم بالحراسة والمراقبة والتأكد من وصول هذه الحقوق للنساء.

وهل يمكن أن يسقط حقهن في عدم (العضل)؟

نعم! إذ حل الظلم؛ فإنه عندما يحل الظلم محل العدل يسقط حقهن في عدم العضل، فقد استثنى الله من حق عدم العضل أن تأتي المرأة بفاحشة مبينة، والفاحشة المبينة هي الفعلة الفظيعة المستكرهة المستقبحة الشنيعة كأن تأبى القيام بواجباتها ومسؤولياتها في بناء الأسرة، أو تأتي بما هو أشد وأقبح من ذلك كالزنا والسرقه.

الحق الخامس: وجوب المعاشرة بالمعروف المتعارف على حسنه مادياً وجسدياً وذلك أمرٌ أعم من المعاملة بالمودة فقط، وبيَّصَرْنَا بذلك قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

بعد أن نهى الأزواج عن الأمور السلبية مع النساء، وبين حقوقهن في دفع الظلم الواقع عليهم جراء الممارسات الخاطئة من قبل بعض الرجال أو بعض أفراد المجتمع أمر بالواجب لهن فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ومعنى عاشره: آخاه، وجعله من عشيرته، والمعنى: ما أحببتم أن يصنعن لكم من جميل القول والفعل فاصنعوا لهن مثله بما يليق برجولتكم، كطيب الكلام، وجميل الفعال وحلو الابتسام، وتحسين الهيئة،

والمداعبة المستملحة، وخفض الجناح، وإحسان الصوت والخطاب، وترى النبي ﷺ أعظم الناس خلقاً في ذلك؛ إذ يقول: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(١).

الحق السادس: الصبر عليها، ورحمتها، وعدم النفور منها لبعض العيوب التي تسبب كراهيتها.

وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

وهذا قانونٌ حياتيٌّ كبيرٌ: أن يتبصر المرء عواقب الأمور، ولا يغتر ببوارق العوارض الظاهرة، وقد قال النبي ﷺ: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ سَخِطَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»^(٢).

الحق السابع: حقها في المفارقة الحسنة عند اقتضاء ذلك، و**يُبَصِّرُنَا** بذلك المعنى الثاني في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾:

إذ يجوز أن يكون المعنى الذي أشار إليه قانون التنوير السلوكي في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ما ذهب إليه مجاهد

(١) سنن الترمذي كتاب المناقب، بابٌ في فضل أزواج النبي ﷺ (٥ / ٧٠٩)، رقم (٣٨٩٥)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٤٠٩)، رقم (١٩٢٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب لا يبغض مؤمن مؤمنة (٤ / ١٧٨)، رقم (٣٦٣٩)، ومعنى يفرك: يبغض.

من أن المعنى: فإن كرهتموهن ففارقوهن حتى لو كرهتم الفراق، أي فيكون حسناً لكم ولهن أن يفارق بعضكم بعضاً.

الحق الثامن: عدم جواز أخذ شيء منها عند فراقها:

وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ (النساء: ٢٠) وهذا تنمة لما تمّ تقريره في الآية الرابعة من كمال ذمتها المالية، واستقلالها في التصرف، بل إن سورة البقرة أثبتت لها متعة مالية، أو عينية أي: هدية تستحقها عند الفراق، فلم يقف الحد عند هذه الحماية للمرأة من سيطرة الرجل.

الحق التاسع: تقديس رابطة الزواج:

فلا يتعامل معها إلا وفق مقتضيات الميثاق الغليظ الذي جمع الله ﷻ به بين الزوجين، والتحذير الإيماني والقضائي من تعسف الزوج في استعمال حقوقه الشرعية، وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١).

الحق العاشر: التحذير الإيماني والقضائي من نشوز الزوج وتعسفه في استعمال الحقوق الشرعية المعطاة له. وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي تَعَالَجُ نَشُوزَ الزَّوْجِ مَعَاجَلَةً مَبَكْرَةً، وَتَخُوفَهُ مِنْ مَرَاقَبَةِ اللَّهِ لَهُ بِالْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ:

وهذه الآية معالجة مبكرة بالنسبة لبقية أحكام السورة لموضوع نشوز الزوج؛ فإن النشوز إما أن يكون من قبل الزوج وإما أن يكون من قبل الزوجة، فهذه الآية بينت بعض مظاهر نشوز الزوج التي بها يحاول الاحتيال على أخذ مال امرأته قبل مفارقتها، وآية

المبحث الثالث: التنظيم الإلهي لحقوق المرأة بعد الزواج حفاظًا على استقرار الأسرة^(١)

يذكر الله ﷻ في آيات سورة النساء (٣٤-٦٢) الحصون التي تحرس الأسرة المركزية (الزوج والزوجة)، فيُحصِنُ بها الرجل نفسه وزوجه، وتُحصِنُ بها المرأة نفسها وزوجها، وبها يُحافظُ على التماسك الأسري، ويتحقق هدف بث الحياة الإنسانية، وسأذكر بعض هذه الحصون، وذلك كما يأتي:

الحصن الأول: إدراك الرحمة الإلهية في تشريعات القرآن لبث الحياة الإنسانية حيث يُظهرُ الله ﷻ لك المقاصد الكلية لهذه التشريعات (النساء: ٢٦-٢٨).

ذكر الله تعالى في هذه الآيات العظام الثلاث ستة مقاصد غائية أنزل الله القرآن لأجلها، وقال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ثمان آيات نزلت في (سورة النساء)، هي خيرٌ لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت^(٢).

ولماذا لهذه الآيات الثلاث بالذات هذه المكانة؟ لأن الله ﷻ ذكر في هذه الآيات العظام الثلاث ستة مقاصد غائية أنزل الله ﷻ القرآن لأجلها، وهي الآتية:

المقصد الأعظم الأول: التبيين الإلهي لما تحتاجه البشرية مما لا تستطيع أن تدركه بنفسها بسهولة، وربما لا تستطيع إدراكه أبدًا. ويُصَرِّفُنا بذلك قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ (النساء: ٢٦).

(١) ينظر: بث الحياة الإنسانية (التفسير المفصل لسورة النساء) (١/٥٤٤-٧٦٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/٢٥٧).

المقصد الأعظم الثاني: تكوين المعرفة التاريخية الحقيقية بسنن الأولين في الجوانب الإيجابية والسلبية لتهدتوا في ظلمات الحياة، وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (النساء: ٢٦).

المقصد الأعظم الثالث: التوبة عند حدوث الإخفاقات، أو ارتكاب السيئات، وَيُبَصِّرُنَا بِهَذَا الْمَقْصِدِ قَوْلُهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٢٦).

المقصد الأعظم الرابع: بناء الثقة بمصدر التشريع، وَيُبَصِّرُنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَلَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء: ٢٦).

المقصد الأعظم الخامس: حماية الناس من أتباع المحرم من الشهوات ومدمري المجتمعات: ﴿وَأَلَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٢٧).

الحصن الثاني: التجارة وسيلة الكسب المالي المشروع، والبعد عن الاستثمار الممنوع لرعاية الأسرة المركزية والمتوسطة والعامتة

الحصن الثالث: المحافظ على الإنسانية من أن تؤذي نفسها جسدياً أو عقلياً أو نفسياً، وحمايتها من اليأس وكبائر الذنوب المدمرة (النساء: ٢٩-٣١):

ذكر الله ﷻ في الحصنين الثاني والثالث بعض التشريعات التي تتعلق بإدارة الحياة الأسرية^(١).

(١) ينظر: بث الحياة الإنسانية (التفسير المفصل لسورة النساء) (١/ ٥٦٥-٦٠١).

الحصن الرابع: الإدراك النفسي والعملية لطبيعة الحياة التكاملية بين الرجال والنساء؛ فالحياة ليست صراعاً بينهما، ولذا يجب نبذ التمني المذموم، وتنمية الطموح لنيل الفضل الإلهي (النساء: ٣٢):

وهذا الحصن خاص بمعرفة الدور المحدد للرجال والنساء في الحياة؛ إذ إن هذه المعرفة تورث الاستقرار النفسي عند النظر إلى القسمة الإلهية للحقوق والواجبات الإنسانية، وهل يمكن للأسرة أن تستقر إذا لم يشعر الزوج بدوره ويرضى به؟ هل يمكن للأسرة أن تستقر إذا لم تعلم الزوجة بدورها وترضى به؟ فإذا وصلت الأسرة إلى الاستقرار النفسي وصلت الإنسانية إلى الإعمار؟ هنا جاء الكلام في هذا الحصن عن أسس الاستقرار الأسري ليكون استقرار الأسرة أساساً لاستقرار المجتمع كاملاً، وأهم هذه الأسس:

الأساس الأول: الرضا بالطبيعة، والشريعة، وترك تمني الممنوع، ويُبصِّرنا بذلك قول الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ٣٢).

الأساس الثاني: التكامل بين الرجال والنساء يعني تحقيق الثواب الكامل، ويُبصِّرنا بذلك قوله جل ذكره: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ﴾ (النساء: ٣٢).

الأساس الثالث: الشعور بلذة اللجوء إلى الله ﷻ، مع بذل الأسباب المادية، ويُبصِّرنا بذلك قوله: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٣٢).

الأساس الرابع: الثقة بالمصدر القرآني، والنظام الحقوقي الذي انبثق عنه، ويُبصِّرنا بذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢).

الحصن الخامس: الاهتمام بالأسرة المتوسطة المكونة من الوالدين وذوي الأرحام والذين تم التعاقد معهم على النصرة والولاء (النساء: ٣٣):

بعد الإدراك النفسي للطبيعة التكاملية بين الرجال والنساء هنا يذكر الله ﷻ لك الأسرة المتوسطة التي تسهم في إيجاد الاستقرار المتبادل لها وللأسرة المركزية، وقد حدد الله لذلك أسسًا لا يتسع المجال لذكرها، منها:

كل شيء مما تركه الوالدان والأقربون، جعل الله ﷻ (موالي) أقرباء يرثونه^(١)، فلا تتمنوا ما فضل الله ﷻ به بعضكم على بعض، ويُبصِّرنا بذلك اتصال ما سبق مع قوله: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٣٣)^(٢).

الحصن السادس: إدراك القوانين المنظمة لإدارة شؤون الأسرة وحمايتها لقاءً ونزاعاً، وقيام الرجل بتحمل مسؤولياتها، ومعالجة المرأة الناشز التي تهمل مسؤولياتها (النساء: ٣٤-٣٥):

يبين في هذا الحصن التماسك الأسري، وهي القوانين التي تبين كيفية إدارة الشؤون الأسرية بين الطرفين، وذلك ليتم التكامل، ويذهب التنازع والتجادل، فيبين الله ﷻ القوانين الضابطة لإدارة النزاع بينهما عندما ترتفع المرأة عن القيام بواجباتها الأسرية.. وهذه القوانين تسهم في استقرار الأسرة وتماسكها.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٦٩/٨).

(٢) ينظر: بث الحياة الإنسانية (التفسير المفصل لسورة النساء) (١/٦٢٠-٦٢٥).

والآن تعال بنا إلى الإدهاش الحقيقي لترى كيف تمت صياغة ما يتعلق بالقوانين المنظمة للأسرة المسلمة سلمًا ونزاعًا في آيتين على النحو الآتي:

القانون الأول: يجب على الرجال القيام على توفير الحياة الكريمة للنساء وزوجات وأمهات وبنات وأخوات، وَيُصْرِّفْنَا بِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾. وكلمة (قَوَّام) لا يمكن أن تقوم مقامها أي كلمة، فصيغة قَوَّام مبالغة من قائم، وتفسير بعض المفسرين لها بـ(الإمرة)^(١)، تفسيرٌ أذهب زيتها وبعى عليها.. فاستمع لها، وتذوق وقعها وقرعها.. فكلمة (قَوَّام) وصفٌ تكليفي يقتضي التعب الشديد، والمسؤولية الجسيمة^(٢).

ويبين النبي ﷺ مسؤولية القوامة التي كلف بها الرجل وتبعاتها وأجرها، وأنها تساوي حماية البلدان جهادًا في سبيل الله، فعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وُلْدِهِ صِعَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبْوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعْفُفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»^(٣).

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٢٩٠).

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٩٢)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٢٤).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٣ / ٤٩١) برقم (١٥٦١٩)، وفي مجمع الزوائد (٤ / ٣٧٧): «رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح»، وصححه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب» برقم (١٩٥٩).

خبر بها واقع المرأة، وعقله الذي يقيس الأمور، فكلمة ﴿تَخَافُونَ﴾ على بابها أي أنها تدل على «الخوف» الذي هو خلاف «الرجاء»، فتخافون العواقب السيئة التي يحدثها النشوز، ورأيتم أماراتٍ تؤدي إلى النشوز، فعند ذلك لا بد من معالجة الواقع، وليس المقصود المغاضبة والاستعصاء المعتاد؛ فإنه قلما يخلو منه بيت.

المرحلة الثانية: بعد وقوع النشوز، فتزداد الضرورة الحياتية قوة لمعالجة عوج المرأة إن استبان للإنسان إصرارها على العوج؛ إذ إن معنى كلمة ﴿تَخَافُونَ﴾ هنا تعلمون، وهذا تفسيرٌ باعتبار المآل حيث وقع الخوف أولاً من أمر ثم تحقق ما يخاف منه.

ولكن ما معنى النشوز الوارد في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾؟

النشوز يعني الانزعاج في ارتفاع واستعلاء، ومنه قيل للمكان المرتفع من الأرض: «نَشْزٌ» و«نَشَازٌ»^(١)، فعبّر عن صفة المرأة المتعالية التاركة لمسئوليتها الأسرية بالناشز لأن نشوز المرأة يدل على استعلائها على زوجها، وارتفاعها عن القيام بمسئولياتها الأسرية، وعندما يحين موعد أي من مسؤولياتها تنزعج منها، وتتركها، وتظهر بين الزوجين المخالفة والإعراض والتجادل بدل المطاوعة والتبادل.

القانون الخامس: لإبقاء التماسك الأسري لا بد من استخدام الوسائل العلاجية لنشوز المرأة، وهي وسائل للعلاج لا للثأر والظلم، وتختلف حسب مقدار النشوز. وهذه الوسائل هي باختصار:

الوسيلة الأولى: الوعظ وهو تذكيرٌ رقيق مقترن بالتخويف من المآلات المستقبلية الدنيوية والأخروية، وبيصرنا بذلك قوله: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾.

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٩٩)

القانون السابع: للمرأة الحق في محدودية تطبيق الوسائل الثلاث في معالجة الشوز الذي يعني عدم القيام بمسؤولياتها، و**يُبَصِّرُنَا** بذلك قوله تعالى: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٣٥).

القانون الثامن: يجب على المجتمع والزوجين أن يحافظوا على الكيان الأسري قدر الإمكان، فإن لم يستطيعوا فرقوا بين طرفي الأسرة بما يبقى العلاقات الاجتماعية بين الأسر صالحة قائمة. و**يُبَصِّرُنَا** بذلك قوله تعالى ذكره: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥).

ويختتم الله ﷻ الآية بتذكير الزوجين والمجتمع بالرقابة الإلهية والشعور بالثقة بهذه التشريعات الدقيقة التي لم يوجد إلى الآن ما يماثلها، و**يُبَصِّرُنَا** الله بذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥).

الحصن السابع: القيام بحقوق الأسرة الإنسانية المتوسطة والأسرة الإنسانية العامة (النساء: ٣٦)

بعد أن فصل الله ﷻ في القسم السابق القوانين المنظمة لإدارة شؤون الأسرة وحمايتها لقاءً ونزاعاً ذكر الله ﷻ حقوق الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع خارج إطار الأسرة الخاصة، وذلك ليظهر التناغم والانسجام بين الأسرة الخاصة والأسرة المجتمعية العامة، فلا تصبح الأسرة الخاصة مركزاً للشح والبخل، وأساساً للإخفاق في إقامة حقوق الأسرة الإنسانية العامة، كما أن الأسرة المجتمعية لا ينبغي أن تكون ملهية له عن الواجبات بالنسبة للأسرة المركزية الخاصة، وقد لاحظت أن المجتمع له دوره في إصلاح الشقاق داخل الأسرة المركزية.

الخاتمة

أسجل في ختام هذا البحث أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

- (١) تجلّت في سورة النساء مظاهر التكريم الإلهي للمرأة، حيث جعلها ركناً من أركان التكوين الفطري للأسرة المركزية، وجعلها شقيقة للرجل تقوم بدورها في بث الحياة الإنسانية واستقرارها، ثم جعلها مصدراً للافتخار بينما كانت الجاهلية القديمة والحديثة تعدها مخلوقاً يُستنكف منه أو يُتلاعب به.
 - (٢) فصّلت سورة النساء حقوق النساء عند الزواج، فكفلت لها الحقوق التي تحمي نظام الزواج من العبث، وصاغت لها القوانين اللازمة التي تضبط حقوق المجتمع وتضبط حقوق أسارى الشهوات المحرمة المتجاوزين لحدود النظام الأسري والسلامة المجتمعية.
 - (٣) اهتمّت سورة النساء بذكر حقوق الزوجة في المعاشرة، كحقّ الكرامة البشرية الكاملة لها، وحقها في عدم الإكراه على ما لا يليق بكرامتها، وحقها في المفارقة الحسنة عند اقتضاء، وغيرها.
 - (٤) تميّزت سورة النساء بذكر الحصون التي تحرس الأسرة المركزية (الزوج والزوجة)، وبها يُحافظُ على التماسك الأسري، كما اهتمّت بذكر حقوق الأسرة المتوسطة والأسرة الإنسانية العامة.
- ويوصي البحث باستخراج المواد القانونية والدستورية المتعلقة بحقوق النساء التي حوتها البصائر القرآنية، ونشرها على أوسع نطاق، حتى يتعرف العالم على الحقوق المقسطة التي تسعد البشرية، وتخلصها من الشقاء وظلم الدساتير الوضعية المتهاكّة.

ملحقات البحث

6

الخريطة البيانية لبصائر سورة النساء لتعبر عن صورتها المتكاملة

موضوع السورة: بث الحياة الإنسانية، والتنظيم الإلهي الحقوقي لها، وحماية المستضعفين وخاصة النساء والأطفال من الاضطهاد

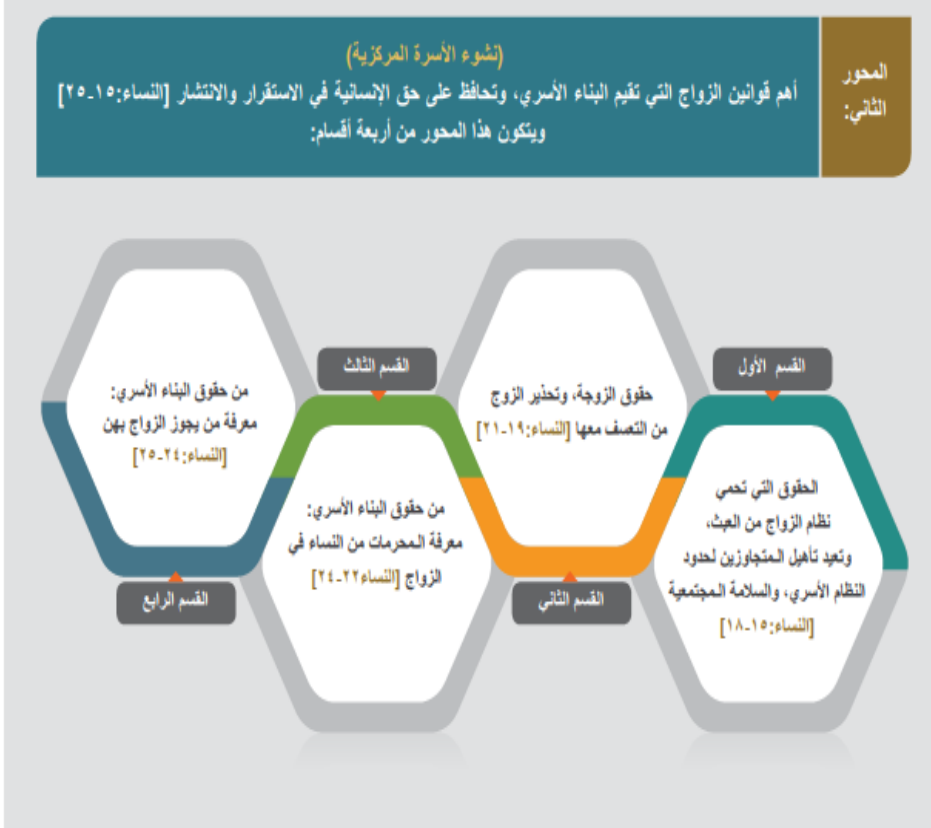
المقدمة: أهم الأسس الحقوقية التي تضمن (بث الحياة الإنسانية) [النساء: ١]

المحور السابع	المحور السادس	المحور الخامس	المحور الرابع	المحور الثالث	المحور الثاني	المحور الأول
أصناف الذنوب يتلاعبون ببث الحياة الإنسانية، ويمنعون القسط فيها، ويشيعون الظلم والغلو (التطرف) في العالم [النساء: ١٣٧-١٧٣]	المحور الحقوقي: الغضائي: السلطة الأرضية الأخيرة التي تحمي القسط في حياة البشرية [النساء: ١٠٥-١٣٦]	(بث الحياة الإنسانية) يقتضى الاستقرار بحفظ الأمن الداخلي والسلام الخارجي: الحقوقى المدني على مبدأ الأمن المجتمعى، والسلام العالمى، وذلك يقتضى تطبيق إستراتيجية أخذ الحذر من الشرور المختلفة، ونصرة المستضعفين، والبحث عن أرض العدل والكرامة [النساء: ٧١-١٠٤]	(الإدارة الراشدة وتنظيم الحقوق الإنسانية): حماية الإنسانية بتكوين الإدارة الراشدة التي تؤدي الحقوق إلى أصحابها، وتحديد طفلة أهل الضلالة والإضلال الذين يتلاعبون بالحقوق الإنسانية، ويمنعون قيام الإدارة الراشدة [النساء: ٤٤-٧٠]	(حصول استقرار الأسرة المركزية ليحقق بث الحياة الإنسانية): التنظيم الإلهي للأسر الإنسانية الثلاث (المركزية والمتوسطة والعامة)، وتكوين أسس الموارد العالية والنفسية للحفاظ على التماسك الأسري [النساء: ٢٦-٤٣]	(نشوء الأسرة المركزية): أهم قوانين الزواج التي نقيم البناء الأسري، وتحافظ على حق الإنسانية في الاستقرار والانتشار [النساء: ١٥-٢٥]	(بداية بث الحياة الإنسانية-الطفل والمرأة): الحقوق العالية للمستضعفة في المجتمعات: الأطفال وخاصة البناتى، والنساء، وإمماجهم على أسس عدلية ضمن السبب الأول الجبري من أسباب تكوين الثروة، وهو الإرث [النساء: ٢-١٤]

الختامة: من أعظم حقوق العالم التعرف إلى حقيقة الكتاب الحق الذي يحل مشاكل البشرية، فيجمع بين العقل والعاطفة، دون غلو في أحدهما، والتأكيد على استكمال حقوق الأسرة المتوسطة (وتتألف من ذوي القربى) لحماية الإنسانية من الضلالة [النساء: ١٧٤-١٧٦]

أ.د. عبد السلام مقبل المعيدي

شكل رقم (١) الخريطة البيانية لبصائر سورة النساء



أ.د. عبد السلام مقبل المكيدي

شكل رقم (٢) المحور الثاني: أهم قوانين الزواج

المحور الثالث: حصون استقرار الأسرة المركزية وعلاقتها بالأسرة المتوسطة والعامّة النساء ليتحقق بث الحياة الإنسانية: وفيه يظهر التنظيم الإلهي للأسر الإنسانية الثلاث (المركزية والمتوسطة والعامّة)، ويتجلى ثقتين الأساسيتين العالية والنفسية للحفاظ على التماسك الأسري [النساء: ٢٦-٤٣]، وهي تسعة حصون:

الحصن الأول إدراك الرحمة الإلهية في التشريعات القرآنية لحماية الحياة الإنسانية حيث يُظهر الله لك المقاصد الكلية العظمى للتشريعات الإلهية التي تنظم الواقع الأسري، والمجتمعات البشرية [النساء: ٢٨-٢٦].

الحصن الثاني الحرص على التجارة باعتبارها وسيلة لكسب المال المشروع، والبعد عن الاستثمار الممنوع لرعاية الأسرة المركزية والمتوسطة والعامّة [النساء: ٢٩].

الحصن الثالث الحفاظ على الإنسانية من أن تؤذي نفسها جسدياً أو عقلياً أو نفسياً، وحمليتها من اليلس أو كبحر الذنوب العمدة [النساء: ٢٩-٣١].

الحصن الرابع الإدراك النفسي والعملية لطبيعة الحياة التكاملية بين الرجال والنساء؛ فالحياة ليست صراعاً، ولذا يجب نبذ التمني المذموم عند الجميع، وينبغي الطموح لنيل الفضل الإلهي [النساء: ٣٢].

الحصن الخامس الاهتمام بالأسرة المتوسطة المكونة من الوالدين وذوي الأرحام والذين تم التعاقد معهم على النصرة والولاء [النساء: ٣٣].

المحور الثالث: حصون استقرار الأسرة المركزية وعلاقتها بالأسرة المتوسطة والعامّة النساء ليحقق بث الحياة الإنسانية: وفيه يظهر التنظيم الإلهي للأسر الإنسانية الثلاث (المركزية والمتوسطة والعامّة)، ويتجلى تكئين الأسس المادية والنفسية للحفاظ على التماسك الأسري [النساء: ٢٦-٤٣]، وهي تسعة حصون:

الحصن السابع
إبرك القوانين المنظمة لإدارة شؤون الأسرة وحمايتها لغذاء وتزاعا، وقيام الرجل بحمل مسؤولياته، ومعالجة المرأة الناشز التي تُهمل مسؤولياتها [النساء: ٣٤-٣٥].

لماذا لم يذكر نشوز الرجل؟

لأنه نكر من قبل وتم التشديد عليه في قوله {وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ} [النساء: ٤]، {لَا يَجِزُ لَكُمْ أَنْ تُرِيدُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا} {وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ١٩] ثم سيذكر نشوزَه في المحور الفضائي (١٢٨) لأن القضاء يوقف تصفه

الحصن السابع
القيام بحقوق الأسرة الإنسانية المتوسطة والأسرة الإنسانية العامّة [النساء: ٣٩].

الحصن الثامن
الحذر من الصنفين اللذين يبران التماسك الأسري، ويقضيان على بث الحياة الإنسانية، ويخطمان النظام الاجتماعي، وهما البخلاء والمرأون، ومعالجة نفسياتهم [النساء: ٣٧-٤٢].

الحصن التاسع
الاستمتاع الحقيقي بالصلاة، لأنها تمنع حالة السكر العقلي المدمر، وتحمي من الوقوع في خطيئة منع الحقوق الإنسانية، وتُعظيم الصلاة وأمانتها، فالصلاة المعظمة من أقوى أسس بث الحياة الإنسانية [النساء: ٤٣].

شكل رقم (٣) المحور الثالث: التنظيم الإلهي لحصون استقرار الأسرة

أهم المراجع والمصادر

- (١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- (٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- (٣) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- (٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- (٥) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- (٦) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- (٧) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد النُوَيْرِي (ت ٨٥٧هـ)، تحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (٨) صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- (٩) صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- (١٠) صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله)، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، مصورة من الطبعة التركية ١٣٣٤هـ، دار الجيل، بيروت.
- (١١) العلم في منظوره الجديد، روبرت أغروس، وجورج ستانسيو، ترجمة د.كمال خلالي، الكويت، عالم المعرفة عدد ١٣٤، ١٩٨٩م.
- (١٢) عودة الحجاب: لمحمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، ط ١٠، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- (١٣) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- (١٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

- (٢٣) مفصل تفسير سورة النساء "بث الحياة الإنسانية والتنظيم الإلهي الحقوقي لها، وحماية المستضعفين وخاصة النساء والأطفال من الاضطهاد": أ.د/ عبد السلام مقبل المجيدي، دار لوسيل، قطر، ٢٠٢١م.
- (٢٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- (٢٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الجزري، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.